



-1-

إذا نظرنا إلى قوة الثورة وقوه أعدائها فإن فرصة نجاحها وانتصارها تبدو ضئيلة جداً، لذلك أميل إلى الجواب السلبي.  
أخشى أن الثورة بعيدة عن الانتصار وأنها في طور الاحتضار الذي سينتهي إلى الموت ولو بعد حين.

هل غيرت رأيي القديم؟ أبداً؛ لقد امتلاً قلبي باليقين بانتصار الثورة منذ خرجت إلى الشوارع أول ثلاثة صغيرة من المتظاهرين هاتفة بسقوط النظام. كان النظام يومها أقوى منه اليوم بمئة مرة، وكانت الثورة يومها أضعف منها اليوم بألف مرة، فلا اعتمدت -في بقيني- على قوة الثورة ولا على ضعف النظام، إنما اعتمدت على الله الذي ما ظننت أن يخذل ضعفه مؤمنين حملوا مشروعهم مخلصين وانطلقوا في ثورتهم صادقين، لم تلوثهم المطامع والشهوات. حق على الله أن ينصر من كانت هذه صفتهم، ومن نصره الله لم يغلبه أقوىأه الدنيا مجتمعين.

-2-

وماذا حصل بعد هذه السنين؟ فسدت النفوس، ضاع النقاء والصفاء الأول، انقرض الإخلاص والصدق اللذان كانا غالبيـن على حـملة المشروع الثوري، أو كـادا يـنـقـرـضـانـ، وـنـسـيـ دـافـعـ الثـورـةـ الـذـيـ حـمـلـهـ الثـوارـ الـأـوـاـئـ حتى صـارـ خـبـراـ منـ أـخـبـارـ التـارـيـخـ.

ثار الناس على الظلم فانقلب كثيراً منهم ظالمين، ولـدـ جـيلـ جـديـدـ منـ الـظـلـمـةـ حـلـ محلـ الـظـالـمـ الـأـوـلـ، وـاـمـتـلـأـتـ الـأـرـضـ بـمـسـتـبـدـيـنـ صـغـارـ وـرـثـواـ اـسـتـبـادـ الـمـسـتـبـدـ الـأـكـبـرـ، وـلـوـ خـدـمـتـهـمـ الـظـرـوـفـ لـصـارـ الـواـحـدـ مـنـهـمـ طـاغـيـةـ الـزـمـانـ كـمـاـ كـانـ الـطـاغـيـةـ الـذـيـ نـادـواـ بـإـسـقـاطـهـ أـوـلـ مـرـةـ.

-3-

صحيح أن الصالحين ما يزالون كثيرين، ولكن الجماعات لا تهلك إذا انعدم فيها الصلاح جملة واحدة، إنها تهلك وفيها الصالحون إذا انتشر فيها الشر كما أخبر الصادق المصدوق. في حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش الذي أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين أنها سـأـلـتـ النـبـيـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ:ـ أـنـهـلـكـ وـفـيـنـاـ الصـالـحـوـنـ؟ـ قـالـ:ـ نـعـمـ،ـ إـذـاـ كـثـرـ الـخـبـثـ.

وما الخبث؟ إنه كبائر المعاصي والذنوب التي يستوجب انتشارها غضب الرب ومقته، فمنها ما ينتبه الناس إليه وينفون منه كالزنا والربا، ومنها ما يستهينون به ويركرون إليه كالظلم والبغى (وكلاهما من الكبائر كما فصلها الذهبي وغيره). ليس الخَبُثُ هو الدخان الذي حاربته بعض الفصائل في المناطق المحررة ولا هو كشف وجه النساء ولبس ما عدا السواد. الأول من اللَّمَ (حسب تعريف اللَّم عند جمهور أهل العلم) والثاني محل خلاف بينهم (والأظهر فيه الجواز) والأخير مباحٌ باتفاق. اشتغل كثير من أهل الثورة بهذه الصغائر وأشغلوا بها الناس، ثم ارتكبوا الكبائر المهلكات، وعلى رأسها الفُرْقَةُ والظلم والبغى والعدوان.

-4-

يعلم الله أني وغيري لم نأْلُ جهاداً في مدافعة الخَبُثِ وأهله، ولكنّا خضنا حرباً خاسرة لأنّ كثيراً ممّن يُرجى منهم الخير والدعم في هذه المعركة مارسوا دُوراً دُوراً الخَلَ! كانوا حرّاساً للخَبُثِ ومدافعين شرسين عنه دائمًا، فوقفوا معه بعناد وإصرار وتذرّعوا له ولأهله بذرائع واهية لا يرضي عنها الله، وكلما وقع ظلم وعدوان فخرج من ينكره بالصوت العالي قام عليه دُورُ الخَلِ يصرخون في وجهه: الفتنة نائمة لعن الله من يُيقظها!

لو كانت نائمة لصَحَّ ما يقولون ولكن مَنْ يُيقظها من نومها آثماً شريراً، ولكنهم هم النائمون الذين لا يعلمون، يتوهّمون أن الفتنة نائمة ويرجون لها دوام النوم، ولا يرون أنها قائمة ترکض على ساقين فتضرب أهل الصلاح وتفتك بخيار المجاهدين. الله حسّبنا فيهم ونَعْمَ الحسيب، وهو وكياناً عليهم ونَعْمَ الوكيل.

-5-

ما زال الخَبُثُ يتسلّل إلى ثورتنا ويزداد حتى اقترب أن يصُنّع بها ما صنعت دائمة الأرض بعاصي سليمان، وما يزال أهله مُصْرِّين عليه ماضين فيه، وما يزال الحمقى والمغيبون مدافعين عنه مسوّغين له، فَإِنَّ ينصر الله ثورةً هذه صِفَتها؟ أَنَّ ينصر الله ظالمين حملوا السلاح لتحقيق مصالحهم وشهواتهم فظلموا باسم الدين واعتدوا تحت راية الدين، ثم سوّغوا ظلمهم وعدوانهم بحكم الدين وحكمة الدين، ودينُ الله بريءٌ منهم ومن ظلمهم وبريءٌ مما يفترون؟

أنا لا أعلم الغيب ولا أتألّى على الله، ولكنني أكاد أكون على يقين: ما لم يَنْتَهِ الظالمون عن الظلم والباغون عن البغي ويتوقف المصفقون والمبررون عن حراسة الظُّلْمَةِ والبغاء فارتقبوا نهاية الثورة غير بعيد، فَإِنَّ ظالمين ضَعَفَةٌ لَنْ يغلبوا ظالمين أقوياء، وإنَّ الله أَنْزَهَ وأَعْدَلَ من أن ينصر الظالمين ولو كانوا مسلمين.

الزلزال السوري

المصادر: